

السبت ٢٠١٥-٠٩-٠٤

## 1100- "الموت لا يحجز على الحياة": نجيب محفوظ

### تعنّت الدستور

أول أمس كانت الذكرى الرابعة لرحيله، فهل رحل أصلًا، أليس هو القائل: "الموت لا يجهز على الحياة، وإنما يجهز على نفسه" (ملحمة الحرافيش ص 66).

أليس هو الذي كتب الفقرة التالية في أصداء السيرة (فقرة 58)

### همسة عند الفجر

"تسير وأنا في مقدمتها أسير حاملاً كأساً كبيرة متوعة برحيق الحياة. في مرحلة حاسمة من العمر. عندما تنسم في المحب ذروة الحيرة والشوق، همس في أذني صوت عند الفجر.

"هنيئاً لك فقد حم الوداع" وأغمضت عيني من التأثر فرأيت جنازتي".

يا ترى هل التقيت شيخي طاغور هناك؟ وهل كرر طاغور عليك شعره هذا؟

"قالت لي الغمامـة: سأتحـى

الليل: سأغيب في الفجر المضطـرم

وقـال الأمـ: سـألوـذ بـصـمتـ عـمـيقـ كـآثـارـ خطـاهـ

وأـجـابـتـ حـيـاتـيـ: سـأـمـوتـ وـأـنـاـ فـمـنـتـهـيـ الـكـمـالـ

وـقـالـ الأـرـضـ: إـنـ أـنـوارـيـ تـلـثمـ أـفـكـارـكـ فـكـلـ لـحظـةـ

وـقـالـ الـحـبـ: وـتـمـضـيـ الـأـيـامـ وـلـكـنـيـ أـنـتـظـركـ

وـقـالـ الموـتـ: سـأـقـودـ زـورـقـ حـيـاتـكـ عـبـرـ الـبـحـرـ

\*\*\*\*

لا أشك في أن شيخنا قد اختار الموت راضياً حين شاء الحق تعالي أن يختاره، كما أنني لم أشك أن محفوظاً قد اختار الحياة

طـولـ الـوقـتـ، حـتـىـ لـحـةـ اـخـتـيـارـ الـمـوـتـ، اـخـتـارـ الـحـيـاةـ كـائـنـاـ بشـرـياـ جـسـديـاـ مـتـحـركـاـ حـاضـراـ .. وـأـيـضاـ اـخـتـارـهـ أـكـثـرـ: كـيـانـاـ فـاعـلاـ جـمـيلـاـ مـضـيفـاـ عـماـ تـيـسـرـ لـهـ، فـأـبـدـعـ فـيـهـ. وـحـينـ تـيـقـنـ أـنـ اللهـ تـعـالـىـ قـدـ أـرـادـ أـنـ يـجـعـلـ الـأـدـوـاتـ أـضـعـفـ، وـالـجـمـالـ أـضـيقـ فـأـضـيقـ، اـخـتـارـ شـيخـنـاـ أـنـ يـقـولـهـ بـلـءـ وـعـيـهـ أـنـ "ـكـفـيـ". لـمـ يـكـنـ اـخـتـيارـ الـحـيـاةـ بـدـيـلاـ عنـ اـخـتـيـارـ الـمـوـتـ، كـانـ اـخـتـيـارـاـ مـتـدـاخـلـاـ، مـتـكـامـلاـ مـكـمـلـاـ. حـينـ آنـ الـأـوـانـ: قـالـهـاـ شـيخـنـاـ بـلـءـ وـعـيـهـ أـنـ: "ـكـفـيـ"، وـمـضـىـ إـلـيـهـ رـاضـيـاـ مـرـضـيـاـ، وـمـعـ يـقـيـنـ أـنـ هـذـاـ حـقـهـ بـلـاءـ مـنـازـعـ، فـقـدـ رـحـتـ أـعـاتـبـهـ وـأـنـاـ أـرـثـيـهـ بـقـصـيدـتـىـ: "ـلـمـ قـلـتـهـاـ شـيخـيـ: "ـكـفـيـ"ـ؟

### من ذـاـ الـذـىـ يـرـغـبـ فـيـ فـرـاقـ مـنـ يـبـبـ؟

(أـعـيـدـ) فـيـ أـوـائلـ مـعـرـفـيـ بـهـ شـخصـيـاـ، كـانـ الرـئـيـسـ فـرـانـسـوـاـ مـتـرانـ قـدـ تـأـكـدـ مـنـ قـرـبـ النـهـاـيـةـ بـعـدـ تـمـادـيـ غـولـ السـرـطـانـ، سـأـلـهـ أـحـدـ الصـحـفـيـنـ بـعـشـمـ (أـوـ وـقـاحـةـ) عـنـ تـوـقـعـاتـهـ بـعـدـ الـمـوـتـ، وـعـنـ مـدـىـ إـيمـانـهـ أـوـ رـغـبـتـهـ فـيـ الـخـلـودـ فـيـ الـجـنـةـ، فـأـجـابـ جـدـيـةـ وـبـكـلـ شـجـاعـةـ، أـنـهـ يـرـىـ أـنـ الـخـلـودـ فـيـ الـجـنـةـ بـلـاءـ نـهـاـيـةـ هـوـ أـمـرـ يـدـعـوـ لـلـمـلـلـ، نـقـلـتـ لـلـأـسـتـاذـ هـذـاـ التـصـرـيـحـ مـتـعـجـباـ، وـرـبـاـ مـعـجـباـ بـشـجـاعـةـ مـتـرانـ وـمـسـاجـةـ الـخـرـيـةـ الـقـىـ تـسـمـحـ بـثـلـ هـذـاـ التـصـرـيـحـ، أـطـرـقـ الـأـسـتـاذـ رـأـسـهـ مـلـيـاـ، صـمـثـ مـنـتـظـراـ، وـطـالـ الـانتـظـارـ حـتـىـ نـبـهـتـهـ بـكـلـ العـشـمـ أـنـ اـحـتـاجـ إـلـىـ تـعـلـيقـهـ، قـالـ: "ـأـنـاـ لـاـ أـوـافـقـهـ"، قـلتـ لـهـ "ـأـمـ تـلـاحـظـ شـجـاعـتـهـ حـتـىـ لـوـ اـخـتـلـفـنـ مـعـهـ؟ أـلـسـنـاـ نـفـتـقـدـ هـذـهـ الـمـسـاحـةـ مـنـ الـخـرـيـةـ الـقـىـ يـتـحـرـكـونـ فـيـ إـطـارـهـ بـلـاءـ سـقـفـ يـقـرـمـهـ؟ـ، قـالـ: "ـلـيـكـنـ، لـكـنـكـ تـسـأـلـ عـنـ رـأـيـ فـيـمـاـ قـالـ، لـاـ عـنـ مـاـ أـنـاحـ لـهـ إـبـدـاءـ رـأـيـهـ". فـأـرـدـفـ أـنـيـ ماـ زـلـتـ أـنـتـظـرـ تـعـلـيقـهـ وـالـسـلـامـ، قـالـ بـعـدـ قـلـيلـ: أـنـاـ لـاـ أـوـافـقـهـ. إـسـعـ يـاـ سـيـدىـ: أـنـتـ حـينـ تـحـبـ شـخـصـاـ أـلـاـ تـكـوـنـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ الـبـقاءـ مـعـهـ أـطـوـلـ مـدـةـ مـكـنـةـ؟ـ قـلتـ نـعـمـ. قـالـ: هـلـ يـكـنـ أـنـ يـخـطـرـ بـبـالـكـ مـاـ هـوـ مـلـلـ وـأـنـتـ تـحـبـ فـعـلـاـ؟ـ قـلتـ: لـاـ، قـالـ، فـإـذـاـ كـنـتـ تـحـبـ الـلـرـحـيلـ، وـإـنـ أـسـتـرـغـرـقـ ذـلـكـ أـكـثـرـ مـنـ اـثـنـيـ عشرـ عـامـاـ.

"ـأـنـكـ تـزـدـادـ فـرـحةـ وـتـجـدـدـ طـولـ الـوـقـتـ؟ـ"

### علمـنـ الـدـهـرـ

قـبـلـ الـخـادـثـ النـذـلـ بـعـامـ إـلـاـ قـلـيلـ نـشـرـ مـحـفـوظـ فـيـ الـأـهـرـامـ قـصـةـ قـصـيرـةـ بـعـدـ أـنـ غـيرـ الـأـهـرـامـ عـنـوانـهـ دـوـنـ اـسـتـذـانـهـ - كـمـاـ أـخـبـرـنـيـ شـيخـيـ شـخـصـيـاـ!!ـ حـتـىـ أـصـبـحـ عـنـوانـاـ ضـحـلـاـ هـوـ "ـعـلـمـنـ الـدـهـرـ"ـ، وـصـلـىـ منـ تـلـكـ الـقـصـمةـ الـبـاكـرـةـ أـنـهـ يـعـدـ نـفـسـهـ "ـبـهـدـوـ"ـ لـلـرـحـيلـ، وـإـنـ اـسـتـرـغـرـقـ ذـلـكـ أـكـثـرـ مـنـ اـثـنـيـ عشرـ عـامـاـ.

**تبـدـأـ الـقـصـمةـ الـقـصـيرـةـ هـكـذاـ: "ـآنـ لـنـاـ آنـ نـرـحلـ"ـ إـلـىـ أـنـ قـالـ:**

"ـ..... نـصـحـ الـطـبـيـبـ بـذـلـكـ وـإـذـاـ نـصـحـ الـطـبـيـبـ وـجـبـ الـطـاعـةـ، كـانـتـ إـقـامـةـ طـيـبـةـ، وـشـقـةـ أـنـيـقـةـ".

ثـمـ تـمـضـيـ الـقـصـةـ فـيـ اـجـاهـ أـنـ الـسـاـكـنـ الـجـدـيدـ الـذـيـ سـيـحـلـ مـعـ الـرـاحـلـ هـوـ أـوـلـاـ بـالـسـكـنـ، إـلـىـ آخـرـ مـاـ يـشـيرـ إـلـىـ أـنـ الـبـقاءـ هـوـ لـلـأـكـثـرـ فـتـوـةـ، وـأـوـفـرـ شـبـابـاـ وـأـصـغـرـ سـناـ.

ثم تنتهي القصة وهو يصعد إلى القطار، ليعلن رضاه :  
- من الانصاف أن أذكر أنها (كانت) إقامة جميلة وأنها  
 تستحق الشكر"

كتب محفوظ كل ذلك قبل الحادث النزل، ثم رحل بعد أكثر من عقد، فهل رحل أم انتقل، أم عاد، أم أنه باق بیننا ، لكننا فقط لا نراه جسدا .

وبعد

يا شيخى الجليل، هل تريد مني أن أمر عليك الليلة فى الثامنة أم الثامنة والربع؟

نعم؟!! نعم؟!

ليس بعد؟!! إذن متى؟

في انتظار ردك والله العظيم.